

**THE DYNAMICS OF SOCIAL NORMS AND VALUES AMONG EDUCATED RURAL YOUTH A SOCIOLOGICAL STUDY IN THE FIELD OF THE ZAYAN TRIBES IN THE PROVINCE OF KHENIFRA AS A CASE STUDY**

**Said ASSAFAH<sup>1</sup>**

Researcher, Sidi Mohammed Ben Abdellah, Morocco

**Abstract**

This study seeks to investigate the dynamism defined by social norms and values among educated rural youth in the Moroccan Middle Atlas because we belong to this rural milieu and this field is still a fertile field for sociological research.

We relied on the qualitative approach in collecting data, where we depended on the semi-directed interview and observation with participation as tools for collecting field data. As for the approach that we followed in the analysis, we have adopted the scientific approach of Max Weber as it helps us understand the meanings and indications behind the actions and attitudes of the actors within the studied community.

The basic conclusions that we can draw are that in rural area, despite the development it has recently witnessed, we cannot definitely talk about a transition from one situation to another, but rather there is continuity of some customs within modern institutions, and therefore the change that occurs to social and cultural structures is not a radical change, but rather a superficial change.

Also, although the rural areas have been invaded by the new socialization agents (school, media and civil society associations), they could not eliminate the role of the traditional socialization agents such as the nuclear and the extended family, as most of the behavioral values still derive their ingredients from the family framework such as obedience, compliance, defect, forbidden, discontent and contentment. These values govern man's relationship with women and the relationship between young and old.

**Key words:** Social Norms and Values, Educated Rural Youth, The Zayan Tribes.

---

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.22.14>

<sup>1</sup>  [said.assafah@usmba.ac.ma](mailto:said.assafah@usmba.ac.ma)

## دينامية الأعراف والقيم الاجتماعية لدى الشباب القروي المتمدرس: دراسة سوسيولوجية بمجال قبائل زيان بإقليم خنيفرة كحالة

سعيد أصفاح

الباحث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، المغرب

### الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في الدينامية التي عرفتها الأعراف والقيم الاجتماعية في صفوف الشباب القروي المتمدرس في الأطلس المتوسط المغربي نظرا لانتمائنا لهذا الوسط القروي ولسبب موضوعي وهو أن هذا المجال ما يزال مجالا خصبا للبحث السوسيولوجي. معتمدين في ذلك على المنهج الكيفي في جمع المعطيات، حيث قمنا بالاعتماد على المقابلة النصف موجهة والملاحظة بالمشاركة كأدوات لجمع المعطيات الميدانية. أما بخصوص المقاربة التي اعتمدها في التحليل فهي المقاربة الفهمية لماكس فيبر، على اعتبار أنها تساعدنا على فهم المعاني والدلالات من وراء الأفعال والمواقف الصادرة عن الفاعلين داخل المجتمع المدروس.

ولعل الخلاصات الأساسية التي خرجنا بها هي أن المجال القروي رغم التطور الذي يعرفه إلا أنه لا يمكننا الحديث عن القطيعة باعتبارها انتقال من وضع إلى وضع آخر وإنما هناك استمرارية لبعض الأعراف داخل المؤسسات الحديثة، وبالتالي فالتغيير الذي يحدث للبنى الاجتماعية والثقافية ليس تغييرا جذريا وإنما هو تغيير سطحي. وأيضا بالرغم من اقتحام الوسط القروي من طرف مؤسسات التنشئة الجديدة (المدرسة، الاعلام، جمعيات المجتمع المدني) إلا أنها لم تستطع الغاء دور مؤسسات التنشئة التقليدية كالعائلة والأسرة، إذ لازالت بعض القيم السلوكية تستمد مقوماتها من الإطار الأسري كالطاعة والامتثال والعيب والحرام والسخط والرضى وهذه القيم تحكم علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الصغير بال كبير.

**الكلمات المفتاحية:** الأعراف والقيم الاجتماعية، الشباب القروي المتمدرس، قبائل زيان.

### مقدمة:

لقد شكلت الأعراف منذ القديم استراتيجية مجتمعية للحفاظ على النظام والتلاحم، وآلية دفاعية ضد أي اختراق يمكن أن يهدد النظام القبلي، حيث لعبت دورا كبيرا في استمراره وصموده أمام رياح التغيير التي واجهها عبر التاريخ، لكن رغم ذلك فإنه كما قال حكماء اليونان "إننا لا نستحم في النهر الواحد مرتين" لذلك فإن الأعراف لا يمكن القول على أنها مستقرة وثابتة في حدود معينة وإنما هناك دينامية وتحول دائم عبر الزمن، خاصة في ظل تراجع مفهوم الجماعة أمام مفهوم المجتمع بتعبير عالم الاجتماع الألماني فرديناند تونيز. وهذا ما دفعنا إلى خوض غمار البحث في التحولات التي عرفتها الأعراف والقيم الاجتماعية التقليدية في صفوف الشباب القروي المتمدرس، حيث اتخذنا المجال الترابي لقبائل زيان بإقليم خنيفرة مجالا للدراسة الميدانية، نظرا لانتمائنا لهذا المجال الجغرافي، وأيضا لسبب موضوعي وهو أن هذا المجال لم ينل حقه من الدراسات والأبحاث الميدانية السوسيولوجية.

## أهمية البحث وإشكاليته:

إن البحث في هذا الموضوع له راهنيتها خاصة وأنه إذا انطلقنا من الطرح الذي تقدم به جاك بيرك بخصوص اعتباره التنظيمات الاجتماعية في افريقيا الشمالية تتميز بقدرتها على إدماج واستيعاب مضامين ثقافية متعددة داخل النسق العام بمعنى أنها ليست تنظيمات جامدة كما حاولت أن تبين ذلك المدرسة الكولونيلية، وإنما هناك انفتاح على كل ما هو جديد دون أن تفقد هويتها وتذوب في الآخر، بحيث تقوم الشخصية الجماعية بإعادة تأويل مستمر للعناصر الثقافية الواردة من الخارج وتكييفها مع الحاجيات المحلية. أضف إلى ذلك العمق التاريخي لكل التنظيمات القبلية في افريقيا الشمالية وانتماؤها لمنظومة واحدة بما في ذلك القبائل المتواجدة في المناطق النائية.

بناء عليه، فقد حاولنا التحقق من هذه الفرضية التي دافع عنها جاك بيرك، من خلال الوقوف عند التمثلات التي يحملها شباب اليوم بالوسط القروي حول الأعراف والمؤسسات العرفية التي نظمت الحياة الاجتماعية لدى قبائل زيان منذ القدم، ثم معرفة مدى قدرة البنيات الاجتماعية والثقافية في هذا المجال على استدماج ثقافات وقيم أخرى دون التخلي عن القيم والأعراف التقليدية، من خلال إعادة تكييفها لتتماشى مع نسق المؤسسات والقيم الحديثة.

## 1. مفاهيم البحث:

## 1 - مفهوم الشباب:

مصطلح الشباب هو تعبير عن الفتاة والحادثة، ويطلق لفظ شبان وشبيبة كجمع لمذكر مفرد شباب ويطلق لفظ شابات وشائب وشواب كجمع مؤنث على مفرد شابة» وأصل كلمة شباب هو شب بمعنى صار فتيا أي من أدرك سن البلوغ ولم يصل إلى سن الرجولة «ثم يقال كذلك» شب قصيدته بفلانة أي حسنها وزينها بذكرها...» المعروف (1960) وإذا اتجهنا إلى المعجم اللغوي الفرنسي le petite Robert نجد فيه أن لفظة الشباب Jeunesse تطلق على فترة الحياة الممتدة ما بين الطفولة وسن النضج، et « Temps de la vie entre l'enfance et la maturité, et l'adolescence c'est la première partie de la jeunesse » (Rey, 2012).

أما في اللغة الانجليزية فنجد أن لفظ الشباب يقابله كل من اللفظتين Youth و young تطلقان على المرحلة العمرية التي تمتد ابتداء من مرحلة الطفولة إلى ما قبل الرشد.

## مفهوم الشباب من الناحية السوسولوجيا:

لقد تناولت السوسولوجيا مفهوم الشباب انطلاقا من التحولات الاجتماعية التي تحدث خلال الانتقال من فترة الطفولة إلى سن الرشد، ولعل أهم هذه السمات هي مغادرة الأسرة الأصلية، والدخول في الحياة المهنية ثم تكوين أسرة. لكن رغم تعيين هذه التحولات الاجتماعية والتي يمكن اعتبارها بمثابة طقوس العبور بتعبير Arnold van Gennep إلى مرحلة الرشد، يبقى هناك العديد من الاشكالات المتعلقة بتحديد فترة الشباب، فحسب علماء الاجتماع تبدأ مرحلة الشباب من خلال دخول الفرد إلى المجتمع، الذي يسعى بدوره إلى إدماجه وتأهيله ليقوم بمهامه المختلفة داخله. لكن الصعوبات التي تواجه الباحث هي تحديد مرحلة الشباب في أي سن تبدأ وأي سن تنتهي، فهو مفهوم ليس له حدود مضبوطة، حسب بورديو «الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية هي حدود اعتباطية ونحن لا نعرف أين تبدأ فترة الشباب وأين تنتهي»،

إذن الشباب حسب علم الاجتماع هو حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية. (كردمين) كما أن الشباب لا يمثل وحدة منسجمة، فهو فئة واسعة ذات مشارب فكرية وثقافية ودينية مختلفة ومتناقضة وانتماءات طبقية متضاربة، لهذا فإن الشباب بالمعنى السوسولوجي هو إفراز اجتماعي تتطور وتتغير تعريفاته مع تغير المجتمع.

وفي بحثنا، حاولنا تحديد فئة الشباب من خلال الوضع الاجتماعي بمعنى الشباب الذين لم يدخلوا بعد في تشكيل الأسرة وولادة الأبناء، تماشياً مع التعريف الذي يقدمه المجتمع المحلي للمفهوم الشباب.

## 2 - مفهوم الأعراف:

تحيل الأعراف إلى القواعد والمعايير الاجتماعية التي تنظم حياة مجموعة من الأفراد في وسط اجتماعي معين، وسميتها أنها تكون غير مكتوبة، وفي الغالب تكون عادة اعتاد عليها الناس، وقد يتحول عرف من الاعراف إلى قانون مكتوب، حيث إنه قبل أن تتشكل الدولة الحديثة كانت الأعراف هي التي تنظم المجتمع، لكن عندما ظهر القانون بصيغته الحديثة أصبح العرف مصدراً من مصادر التشريع في القوانين الحديثة. ونأخذ على سبيل المثال القانون الدولي، فهو في الأصل مجموعة من الأعراف التي نظمت علاقات الدول منذ القدم.

وفي المجتمع المدروس كانت الاعراف والدين هما اللذان يؤطران حياة القبائل، إلى أن جاء المستعمر، حيث أصبح يفرض على القبائل الاحتكام إلى القوانين الوضعية، ثم جاءت بعد الاستقلال مؤسسات الدولة لتفرض على القبائل الخضوع للقوانين عوض الاعراف في العديد من المجالات.

## II - نبذة تعريفية عن المجتمع المدروس:

### 1 - أيت أومالو، أو سكان جبل فازاز:

لقد أطلق المؤرخون لقب بلاد أيت أومالو<sup>2</sup> (بلاد الظل) على القبائل التي تقطن في سفح الأطلس المتوسط وهي كالتالي: زيان وأيت سكوكو وأيت سخمان<sup>3</sup> و أشقين<sup>4</sup> و بني مكيلد<sup>5</sup> وأيت يسري<sup>6</sup> وزمور<sup>7</sup>، لكن الذي سنركز عليه هو قبائل زيان وأيت سكوكو، باعتبارها النواة القبلية التي اتخذناها مجالاً للدراسة.

ينقسم المجال الترابي عند زيان وأيت سكوكو إلى قسمين هناك الجبل و" أزغار" (V.LOUBIGNAC, 1924) فهذا الأخير يتم الانتجاع فيه شتاء والجبل يتم الانتجاع فيه صيفاً، لكن مع مجيء الاستعمار تم تكسير هذه الحركية القبلية حتى

<sup>2</sup> تطلق هذه العبارة على صنهاجة الظل الواقعة في منحدرات الأطلس الشمالية التي تواجهها الشمس مواجهة تامة وتشمل الإتحادية على ست قبائل (زيان، أشقين، أيت سخمان، بني مكيلد، أيت يسري، زمور) وتتمركز مواقعها في حوض أم الربيع ووادي العبيد بالأطلس المتوسط، والمناطق الفاصلة بين الأطلس والحوض أسفل نهر سبو الذي يلتقي بنهر أم الربيع بالقرب من زاوية أيت اسحاق. أنظر كتاب محمد بن الحسن، كياء العنبر في بعض قبائل زيان وأطلس البربر لأحمد المنصور في حاشية ص 42.

<sup>3</sup> حسب أحمد المنصورى تنتمي الإتحادية إلى تجمعات أيت أومالو، وتتكون من أربعة قبائل: أيت عبدالوالي، أيت أم البخت، أيت ويرا، أيت ايحاند، مركزها الكبير أغبالا شرق خنيفرة على نحو 100 كلم.

<sup>4</sup> حسب أحمد المنصورى هي قبائل صنهاجية تنتمي إلى إتحادية أيت أومالو وتشتمل على ثلاثة بطون: إمزنانن، أيت يعقوب أو عيسى وأيت عمرو وعيسى، أما مواقعهم الحالية، فتوجد في السلسلة الغابوية الممتدة من الحوض الأسفل لوادي سرو إلى أعالي ملوية.

<sup>5</sup> مركزها الكبير مدينة أزرو وهي إتحادية كبرى تنتمي إلى تجمعات صنهاجة، وتقع مواقعهم بين قبائل بني حسن شمالاً وزيان جنوباً، وزعير غرباً، وكروان شرقاً حسب أحمد المنصورى دائماً.

<sup>6</sup> مركزها الكبير القصبية نموها وسعيد، شمال بني ملال وهي الصيغة العربية لأيت مكيلد الأمازيغية الصنهاجية النازحة من الجنوب المغربي

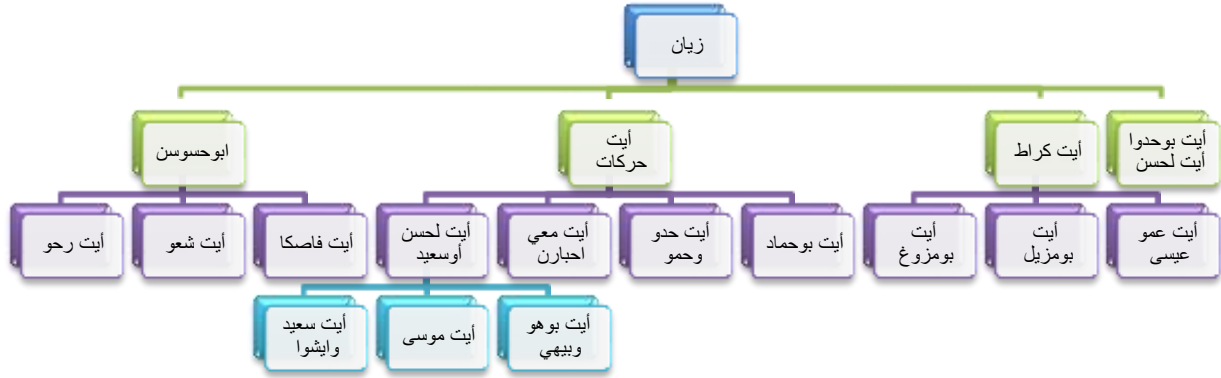
<sup>7</sup> قبائل صنهاجية من صميم زيان توغلت في الشمال، وهي الآن تعيش حول والماس أكبر مراكزها الخميسات حسب أحمد المنصورى.

يسهل ضبط القبائل وهو ما أدى إلى ظهور مدينة متوسطة وهي مريرت باعتبارها مركز قبائل أيت سكوكو، ومدينة خنيفرة باعتبارها مركز زيان. وبخصوص استغلال المجال الترابي فإن اقتصاد قبائل زيان وأيت سكوكو قائم على الرعي بالدرجة الأولى، فهذه القبائل مثلها في ذلك مثل باقي قبائل أيت أومالو ارتكز اقتصادهم دائماً على القطاع الأول المتمثل في تربية الماشية كنشاط رئيسي، إذ إلى حدود ثلاثينيات القرن الماضي كانت حياة الانتجاع هي السائدة وهو الأمر الذي تعكسه أدبيات تلك الفترة، إضافة إلى وجود أنشطة اقتصادية أخرى كالزراعة واستغلال الغابة، أما حضور القطاعات الاقتصادية الأخرى فلم يكن إلا بصفة ثانوية. (كنون، 2014)

## 2 - نبذة عن قبائل زيان:

زيان هم جزء من اتحادية قبائل أيت أومالو، وهم مجموعة من القبائل التي ذاع صيتها منذ أن تولى القائد موحى أحموا الزياني قيادتها مما أكسبهم شهرة غطت على أقرب جيرانهم، ومن خلال البحث في أصل قبائل زيان وجدنا أنها تنتمي إلى بطن صنهاجة. حيث تحدث أحمد المنصوري صاحب كتاب "الاستقصاء" عن واقعة غزو المولى الحسن لهذه المنطقة وقال في هذا الصدد: " ولما دخلت سنة خمس وثلاثمائة وألف غزا السلطان مولاي الحسن أيده الله آيت أومالو من برابرة فازاز، وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل ظيان وبني مكيلد وشقيرين وآيت سخمان وآيت يسري وغيرهم أمم لا يحصيه إلا خالقهم، قد عمرووا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الاسلام بأعصار طويلة، فلما كانت السنة المذكورة خرج السلطان من مكناسة الزيتون، عاشر رمضان منها بقصد غزو هذه القبائل العاصية وتدويخ بلادها..." (الناصري، 1997) وإذا حاولنا معرفة أصل هذه التسمية نجد أن هناك اختلاف في تحديد دلالتها، ففي حديثه عن نسبه أشار المؤرخ أبو القاسم الزياني<sup>8</sup> صاحب كتاب " الترجمانة الكبرى " (الزياني، 1991) إلى أن زيان هو اسم أبو القبيل الذي تنحدر منه هذه القبائل، فيقول عن نسبه " أنا أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن أحمد بن نوح النسابة بن ابراهيم بن علي بن لحسن بن قاسم بن يحيى بن عيسى، ويحيى هو أبو فخذنا من قبيلة زيان، وزيان هو أبو القبيل، ثم يستمر في رفع نسبه إلى صنهاج جد قبائل صنهاجة". (المنصوري، 2004) وفي الدراسة التي أنجزها لوبيكناك أشار إلى أن زيان هو نطق عربي في حين أن الأمازيغ ينطقونها (أزاي) وجمعها إزيان وهي إحالة إلى الشيء الثقيل بمعنى (إزاي) بالأمازيغية وهي الاصل حسب هذا الباحث رغم أنه ليس متأكدا من صحة هذه الدلالة. (V.LOUBIGNAC، 1924)

<sup>8</sup> (1147) هـ (1249) - هـ، 1833 - 1734 م، وزير ومؤرخ الدولة العلوية، أمازيغي الأصل، من كبار موظفي الدولة. قام بأسفار كثيرة وزار مناطق عديدة مثل تركيا ومصر وسوريا وسواحل أوروبا الجنوبية، واستطاع أن يكتب خمسة عشر مصنفاً كبير الحجم.



رسم توضيحي 1 تقسيم قبائل زيان حسب لوبيكناك

### III. الأعراف والتنظيمات الاجتماعية عند زيان قبل الاستعمار:

#### الأسرة:

إذا عدنا إلى الاثنوغرافيات التي أنجزها المستعمر وكذا التاريخ الشفهي للمنطقة نجد على أن الأسرة لدى قبائل زيان تعني ( ألمسي ) (أسبينيون، 2007) وتضم الأب والأم والأبناء وأحيانا ينضاف إلى هؤلاء الراعي (أمكسا ) و (أمحارس) أي المحمي وأحيانا أخرى (أكوجيل) وهو الطفل الذي مات والديه. يعيش هؤلاء تحت سقف واحد وعند قبائل أيت سكوكو نجد مصطلحا آخر وهو (ثخامث) أي الأسرة النووية وهي دلالة عن الاستقلالية عن الأسرة الكبيرة أو الممتدة أخام. (كنون، 2014) تنبني الأسرة عند زيان وأيت سكوكو على مجموعة من الأعراف التي تشكل ركيزة لبقاء الأسرة، ونذكر هنا مسألة التداول حول السلطة داخل الخيمة، فهنا نجد أن الأب دائما هو صاحب القرار داخل الأسرة ويسمى عند هذه القبائل (أعصاب) فهو المكلف بتسيير الخيمة وفي حال وفاته أو هروبه من القبيلة يتولى الابن الأكبر تسيير شؤون البيت أو الأم وتسمى (ثاعصابث)، وبخصوص الزواج فهو طقس من طقوس العبور نحو الرجولة (أركاز) بالنسبة للرجل ونحو (المرأة) (ثمطوط) بالنسبة للبنات وهذا لا يمكن أن يمر بشكل عادي وإنما يرافقه الاحتفال الجماعي بحضور سكان القبيلة.

#### العائلة:

يشير مصطلح أخام إلى الأسرة الممتدة، إنه مجموعة من (إلمسيتين) بمعنى هناك الجد والأبناء والأحفاد وكل العناصر المكونة لأخام ترتبط بعلاقة دموية، إخوة وأبناء عمومة. يعود التسيير في العائلة الممتدة إلى الأكبر سنا، قد يكون الجد في حال تواجده أو الابن الأكبر وفي بعض الحالات قد تكون الأم، ويسمى أعصاب بالنسبة للرجل وثاعصابث بالنسبة للمرأة كما سبق الذكر بخصوص تشكيل الأسرة.

**العظم:**

(إغص) هو مجموعة من الأسر الممتدة (إخامن) التي تترايط فيما بينها بخيط دموي مباشر وغالبا ما تكون علاقة العمومة هي السائدة، والرابطة بين تلك العائلات المكونة للإغص، لكن هل يمكن القول أن العائلات المشكلة للإغص تجتمع فيما يسمى دوار؟ إن قبائل أيت أو مالو حسب سعيد كنون لا نجد عندها المصطلح العربي "الدوار" وإنما هناك مسمى آخر وهو (أسون) فهو المتداول لدى قبائل زيان وحتى في الثقافة المحلية لدى قبائل أيت سكوكو نجد مصطلح أسون هو السائد.

**الفخدة:**

وهي مجموعة من الدواوير ذات الأصل المشترك بمعنى مجموعة من "الإغصان" لا يشترط بالضرورة وحدة دموية بين الإغصان المنتمية إليه، والتي تتبنى في الغالب جدا أسطوريا يكون بمثابة رابط دموي بينهم أو جدا حقيقيا. (كنون، 2014).

بالنسبة لأيت سكوكو هناك تيمة أخرى يلتف حولها "الأسون"، إلى جانب القرابة والدم والجد المشترك. إنه المسجد والذي يتم انشاؤه بالمساهمة العينية للأسر المنتمية للأسون" بما أن المسجد عبارة عن خيمة "أفليج" فإن كل أسرة تساهم بدورها في هذه الخيمة، سواء بنسج أحد أضلاعها، أو بتوفير الأفرشة وتأثيث الفضاء أو برعاية الفقيه "الطالب" وتوفير حاجياته.

أما بالنسبة لأعلى سلطة داخل "أسون" فيقتسمها "المقدم" و "إجماعن"، بحيث أن "المقدم" يمثل الشخص الزاهد المتعبد والذي يضطلع بمهمة الصيانة والحفاظ على ممتلكات المسجد، إلى جانب هذا الدور الديني يمتلك سلطة سياسية بحيث يعتبر ممثلا ل "أسون" كما أنه يتدخل في فض النزاعات التي قد تنشأ داخل "أسون". إلى جانب "المقدم" نجد "إجماعن" وهم أشخاص اجتمع لديهم النفوذ والثروة وعامل السن، وتتمثل مهمتهم بالدرجة الأولى في التحكيم وحل النزاعات، إضافة إلى تمثيل "أسون" وهكذا "إجماعن" يعتبرون بمثابة مجلس للمستشارين إلى جانب المقدم الذي يعتبر الناطق الرسمي باسم "أسون". (كنون، 2014) أسون بهذا المعنى هو محطة أساسية في التنظيم الاجتماعي والسياسي لأيت سكوكو إذ في هذا المستوى يفرز السياسي ويمتجان بالدموي.

**القبيلة:**

إنها الإطار الاجتماعي الكبير الذي يجمع كل المكونات الأنفة الذكر، حيث تأخذ هذه المكونات اسما مشتركا لنفسها وتتبنى جدا ربما يكون حقيقيا أو أسطوريا، (كنون، 2014) لكن المهم هو أنها تتوحد في الانتماء السلالي له، بشكل يجعل من الرقابة الدموية عامل مساعد على التحام المكونات الصغرى بعضها البعض. وهو عامل استراتيجي الهدف منه هو الحفاظ على استمرارية كل هذه المكونات، هذه الاستمرارية التي لا يمكن أن تتحقق إلا بوجود قوة بشرية قادرة على القيام بدور دفاعي.

إضافة إلى هذا الدور تلعب القبيلة أيضا دورا تنظيميا من خلال كونها تمثل حلقة وصل بين المكونات الصغرى التي تجمعها والقبائل الأخرى من جهة والمستويات القبلية الكبرى من جهة أخرى.

## الفرع القبلي الأكبر:

(أقبيل) هو مجموعة من القبائل تتوحد تحت مسمى واحد هو انتماؤها لجد مشترك (إمراظن مثلا) أو إمتلاكها لوضع خاص بها (إعاميين مثلا).

هذه الوحدة التنظيمية لا تملك أي أهمية إذا ما قورنت بباقي الوحدات السالفة الذكر، إذ تبقى مجرد تكتل استراتيجي يظهر في حالة الحرب (JAMOUS، 1981) ويختفي باختفائها (كما هو الشأن بالنسبة للصراع الذي دار بين أقبلي قائد " أيت سيدي علي" وقائد زيان).

أعلى سلطة هنا هي القايد والذي يتم اختياره من طرف القبائل المكونة لـ " أقبيل" هذا الاختيار الذي تتدخل فيه عوامل النفوذ والمال ووزن القبيلة التي ينتمي إليها، إضافة إلى دور التحالفات القبلية، كما نجد أن هناك بعض الحالات التي يتدخل فيها عامل الوراثة في تنصيب القايد، إضافة إلى بسالته الحربية على اعتبار أن القايد يلعب دور حربي أكثر من الأدوار الأخرى سواء الدينية أو الدنيوية. مع نهاية القرن 19 م ظهرت عادة جديدة ترسخت محليا مع دخول المغرب في المرحلة الاستعمارية، وهي أن القايد بعد اختياره من طرف القبائل المنتمية لـ " أقبيل" يبقى عليه أن يستمد شرعيته من السلطة المركزية التي تزكيه. وتحكي الرواية الشفوية أن هذه التركيبة كانت تتم سواء بفاس أو مكناس من خلال تقديم ظهير التعيين وسلهام يسمى محليا بالعنايث.

## نتائج البحث:

### IV.- دينامية الاعراف والقيم الاجتماعية في صفوف الشباب القروي المتمدرس:

يتجه الباحثون في دينامية الأعراف والقيم إلى تأكيد أن تعميم التعليم والطرق والكهرباء والهاتف ساهم في خلق دينامية جديدة في الوسط القروي، حيث بدأت تظهر صراعات اجتماعية وتناقضات ثقافية ما بين الأجيال، ما أدى إلى اتساع الهوة ما بين الأبناء والآباء. (BOUFATMA، 2018) فإذا توقفنا عند التفاعلات الاجتماعية ما بين الافراد نجد أن هناك توجه نحو الفردانية مقابل ضعف وتفكك الرابطة الاجتماعي، وهو ما انعكس على الأعراف والقيم والمعايير الاجتماعية المتوافق عليها داخل المجتمع القروي. وبالتالي حاولنا الوقوف عند بعض مظاهر التحولات التي عرفها المجتمع القروي من خلال تمثيلات الشباب الذين تم اجراء المقابلات معهم.

#### 1 - طقوس الزواج

إذا كانت أعراف الزواج في السابق تعطي للأب هامشا كبيرا في اختيار الزوج أو الزوجة لأبنائه فإنه من خلال المقابلات يصرح أغلب الشباب المستجوبين على أن الزواج باعتباره طقس من طقوس العبور نحو تشكيل الأسرة لم يعد مرتبطا بالآباء، حيث أصبح الشباب يبحثون عن الشريك الثاني بأنفسهم بعيدا عن الاسرة إلا إذا التمس الابن من الأسرة أن تبحث له عن زوجة، وهذا العامل مرتبط بمتغير التعليم بشكل كبير فكلما كان المستوى الدراسي متقدما قل هامش تدخل الأسرة. فالتعليم ساهم في استقلالية الأبناء عن الآباء في اتخاذ القرارات المتعلقة بحياتهم الشخصية والمهنية، لكن يختلف الأمر بين الذكور والإناث، إذ لازالت الأسرة تتدخل في بعض الأحيان في توجيه قرارات الاناث.

بالإضافة إلى عامل التعليم، ساهمت ثقافة المدينة في اعتبار التعارف الذي كان يتم في الخفاء في السابق، شيئا مقبولا اجتماعيا من طرف الآباء، فقبل الذهاب للخطبة يتواصل الشاب الراغب في الزواج مع الفتاة التي تم اختيارها عبر



الهاتف وفي حال عدم تمكنه من الحصول عليه، تقوم الأم بزيارة لأهل بيت الفتاة وخاصة والدتها من أجل أخذ رقم الهاتف، وبالتالي فقد أصبح عرفا جديدا اقتحم المجال القروي بعد أن كان من الأشياء المسكوت عنها داخل المجتمع القروي، إذ يؤكد أغلب الشباب على أن فترة التعارف أصبحت عرفا لا بد منه قبل القيام بالخطوبة وإعلان الزواج داخل القبيلة، وهذا التحول نلمسه عند الذكور والإناث على حد سواء.

من جهة أخرى هناك بعض الأعراف والعادات التي بدأ الشباب القروي ينظر إليها نظرة سلبية، ويعتبرون أنها عادة تهين المرأة في كرامتها، وهي عادة إخراج دم العروس ليلية الدخلة إلى الحاضرين من أجل تأكيد فحولة الرجل وكذا عذرية الفتاة، فهذه العادات المصاحبة لحفل الزفاف أصبحت غير مقبولة اجتماعيا من طرف الشباب. في مقابل ذلك أصبحت العادات المدنية المتمثلة في الماكياج واللباس المتنوع واستعمال السيارات واستعمال الأوركسترا مقبولة، وبالتالي فإن الاختلاف الثقافي بين القرية والمدينة أصبح يتراجع لصالح النموذج الثقافي الواحد، رغم أنه ليس بتلك البساطة التي نراها فالقرية لا تقبل التغيير الجارف فدائما هناك طابع المقاومة والتدافع بين القيم والأعراف التقليدية والحديثة (المرجان، 2002).

## 2- في مدى ارتباط الشباب بشؤون القبيلة:

من خلال البحث الميداني، تبين لنا أن شباب اليوم في الوسط القروي لم يعد يعطي اهتماما لما يدور في القبيلة، وفي هذا الصدد طرحنا على المبحوثين سؤالاً حول أسماء مجموعة من التنظيمات التي كانت تؤطر حياة المجتمع الزياتي. (مثل أمغار، أسون، ئاظا، إجماعن، المقدم نجامع) فعندما سألنا المبحوثين عن معنى (أمغار) وجدنا أن هناك اتفاق شبه كلي على أن أمغار هو والد الزوج ولا يعرفون معنى أمغار الذي كان يتم تعيينه في كل سنة لتدبير شؤون القبيلة، نظرا لأن هؤلاء الشباب لم ينشؤوا في ظل هذا التنظيم القبلي الذي تم تجاوزه منذ أن حلت الجماعة القروية والمؤسسات الحديثة مكان التنظيمات القبلية التقليدية. كذلك الأمر بخصوص كلمة (أزرف) فأغلب المبحوثين لم يتوصلوا للإجابة، وبالتالي يمكننا القول على أن هذا المصطلح ليس متداولاً لدى قبائل زيان، لأنه حتى كبار السن لا يعرفون هذا المصطلح ولكن المتداول لدى هذه القبائل هو (أبريد لجدود) أي طريق الأجداد، وأيضا (أسون) فرغم أنه من المصطلحات التي كانت سائدة لدى زيان وأيت سوكوكو إلا أن أغلب الشباب لم يتوصلوا إلى معناه.

إن ما يمكن استنتاجه في هذا الصدد هو أن هذه المصطلحات بدأت تندثر مع الزمن ولم يعد تداولها بشكل كبير خاصة وأن الشباب المتمدرس له اهتمامات أخرى، في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتم الاندماج في الكوني، أكثر من المحلي الذي نشأ فيه، خاصة في جانب الاهتمام بشؤون القبيلة، وهنا نستحضر الدراسة التي أجراها بول باسكون حول ما يقوله 296 شاب قروي، حيث توصل إلى أن أغلب الشباب في العالم القروي يرغبون في مغادرة القرية والاستقرار في المدينة وبالتالي فإن الارتباط بشؤون القبيلة سوف يتأثر بعوامل الجذب التي تتوفر في المدينة.

## 3 - نظرة الشباب المتمدرس إلى المعتقدات الشعبية داخل المجال القروي:

رغم أن ظواهر التحول السوسيو- ثقافي بالمجال القروي المغربي بطيئة الأثر والفعالية وتأخذ مسارا طويلا في التغيير (جدي، 2021) إلا أن هناك ملاحظات مهمة استنتجناها من خلال البحث، وهي أن الشباب المتمدرس يحمل نظرة سلبية تجاه المعتقدات الشعبية، وخاصة في الجانب المتعلق بقدسية بعض الأشياء مثل الأماكن الخالية وتقديس بعض الحيوانات، حيث نسجل لدى أغلب المبحوثين تراجعا في الاعتقاد في الضرر الذي تسببه مثلا السباحة ليلا، بعد أن

كان الاعتقاد في أن المياه هي مسكن للجن في الليل، وأيضاً بخصوص الاعتقاد في الضرر الذي يسببه قتل بعض الطيور مثلاً البومة والغراب، فقد وجدنا أن الشباب ليست لديهم أية فكرة حول هذه المعتقدات، التي كانت سائدة إلى عهد قريب في المجالات القروية وحتى الحضرية فهي كباقي الحيوانات ليس من الضروري وضعها على مستوى المخيال الاجتماعي في وضع اعتباري معين.

#### 4 - التنظيمات الجديدة ومدى استمرار الاعراف داخلها:

إذا كانت " جماعة " (أسبينيون، 2007) هي التي تسير شؤون القبيلة في السابق فإن تدخلها اليوم أصبح يقتصر على حل بعض المشاكل المتعلقة بالسقي والارث والمشاكل الزوجية، وهو ما يفيد أن هناك تراجع كبير في دور إجماع داخل القبيلة، لكن من خلال زيارتنا الميدانية وحضورنا لبعض الجموعات العامة لبعض الجمعيات والتعاونيات في المجال القروي، لاحظنا أنه رغم تراجع دور " جماعة " بمعناها التقليدي إلا أن أعراف التسيير والتنظيم لا زالت مستمرة مع الأشكال الجديدة من التنظيمات ذات الصبغة الجماعية والتي يتم تسييرها بشكل جماعي، ونعطي هنا بعض الأمثلة على استمرارية أعراف التسيير داخل نسق المؤسسات الحديثة.

خلال حضورنا للجموعات العامة السنوية لإحدى التعاونيات بمنطقة تانفنت<sup>9</sup> لاحظنا أن الجمع العام لازال يتم تنظيمه وفق العادات التي كانت تنظم بها القبيلة حفل تعيين أمغار، فنجد مثلاً أن طقوس الافتتاح لازالت مستمرة حيث يتم الافتتاح بالعبارة التالية " زلاث خف نبي " أي صلوا على النبي " ويرد الجميع " اللهم صلي عليك أرسول الله " وبعدها تنطلق أشغال الجمع العام، والذي يتم تنظيمه في مكان عام مثل المدرسة أو المسجد، وبعد الانتهاء من الجمع يتوجه جميع المدعوين لتناول وجبة الغذاء، التي تكون غالباً بالخرفان المشوية بحضور جميع المدعوين، وفي الأخير يتم الاختتام بقراءة الفاتحة والدعاء. وبالتالي فإن الاستنتاج الذي يمكن الخروج به في هذا الصدد هو أن البنيات الاجتماعية والثقافية داخل المجال القروي لا تتغير في العمق وإنما تتغير على مستوى الشكل، فهنا نتحدث عن تعاونية بالمنطق الحديث وهي تنظيم مقولاتي صغير، له أهداف ربحية لكن بعض الجوانب في طريقة التسيير لازالت تعتمد على القيم التقليدية. وهو نفس الشيء الذي لاحظناه خلال حضورنا لبعض الاجتماعات الخاصة ببعض الجمعيات، فهي لازالت تعتمد على الطريقة التقليدية في التنظيم وحتى تلك التي تمتلك مقرات لها فهي تعد غرفة للجلوس دون وجود الطاوات والكراسي، وهنا قد نعتقد للوهلة الأولى أن السبب يعود لضعف الامكانيات المادية لشراء التجهيزات الحديثة، لكن هذا غير وارد لأنه رغم توفر التجهيزات لدى بعض الجمعيات فهي تفضل تجهيز غرفة للجلوس التقليدي داخل مقرها.

#### 5 - مدى استمرار التعبيرات الثقافية في صفوف الشباب القروي المتمدرس:

يجد أغلب الشباب صعوبة في الحديث باللغة الأمازيغية داخل الإعداديات والثانويات المتواجدة في المجالات الحضرية وخاصة الجماعة الحضرية مريرت وخنيفرة لكن كلما كان المركز الحضري صغيراً كلما كان الشباب يعبر عن عدم وجود مشكلة في التحدث بالأمازيغية. فخلال ملاحظتنا الميدانية وخاصة في دور الطالب المتواجدة في مدينة خنيفرة ومريرت لاحظنا أن الشباب المتواجدين في الداخلات يتحدثون بالأمازيغية فيما بينهم داخل القسم الداخلي لكن عندما يتواجدون في ساحة المؤسسة أو في القسم يفضلون التحدث بالدارجة حتى يتجنبوا التنمر الذي يتعرضون له من قبل زملائهم في الدراسة.

<sup>9</sup>تواجد بجانب الطريق المؤدية إلى عيون أم الربيع من مريرت

لكن من جانب آخر يشكل فن أحيديوس طقساً مهماً لدى الشباب، فرغم التحول الذي عرفته البنيات الاجتماعية والثقافية داخل هذه المجالات إلا أن النظرة إلى فن أحيديوس لم يشبها أي تغيير لدى الشباب، إذ لمسنا لدى جل المبحوثين حرصاً كبيراً على أن أي حفل لا يتخلله فن أحيديوس فهو غير مكتمل من حيث طقوس الاحتفال وخاصة الزواج. وهنا يمكننا التساؤل حول لماذا ليس هناك تراجع لدى الشباب بخصوص ممارسة طقس أحيديوس؟ إن الجواب يمكننا أن نجده لدى رواد الأنثروبولوجيا، الذين يؤكدون على أن طقوس الاحتفال نادراً ما يلمسها التحول، لقدرتها على استدماج العناصر الثقافية الجديدة دون التخلي عن الجوهر، مادامت تكتسي طابع القداسة الاجتماعية التي تشكل ملمحاً من ملامح الهوية الضاربة في القدم. و التي تحميها من التآكل و الضمور، وإن كان ذلك لا يمنع من التثاقف و حوار الحضارات خاصة أمام زحف العولمة.

### خاتمة

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة تناول الدينامية التي عرفتها الأعراف والقيم الاجتماعية في صفوف الشباب القروي المتمدرس، متخذين في ذلك مجال زيان مجالاً للدراسة. ولعل الخلاصات الأساسية التي خرجنا بها هو أن المجال القروي رغم الدينامية التي يعرفها من خلال اقتحام قيم جديدة وسلوكيات جديدة إلا أنه لا يمكننا الحديث عن القطيعة باعتبارها انتقال من وضع إلى وضع آخر وإنما هناك استمرارية لبعض الأعراف داخل المؤسسات الحديثة، وبالتالي فالتغيير الذي يحدث للبنيات الاجتماعية والثقافية ليس تغييراً جذرياً وإنما هو تغيير سطحي. وأيضاً بالرغم من اقتحام الوسط القروي من طرف مؤسسات التنشئة الجديدة ( المدرسة، الاعلام، جمعيات المجتمع المدني) إلا أنها لم تستطع بعد الغاء مؤسسات التنشئة التقليدية كالعائلة والأسرة، إذ لازالت بعض القيم السلوكية تستمد مقوماتها من الإطار الأسري كالطاعة والامتثال والعيب والحرام والسخط والرضى وهذه القيم تحكم علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة الصغير بالكبير.

- BERQUE, j. (1978). *Structures sociales du Haut-Atlas* (éd. 3). Paris: Presse Univercitare de France.
- BOUFATMA, A. (2018). *Karia et tribus pré-rifaines, changement socio-économique et culturel* (éd. 1). Rabat: l'institut Royal de la culture Amazighe.
- JAMOUS, R. (1981). *Honneur et Baraka: les structures sociales traditionnelles dans le rif*. Paris: La maison des Sciences de l'Homme .
- MOhammed, A. (2021). *Islam et générations au Maroc* (éd. 1). Casablanca: la Croisée des Chemains.
- Rey, A. (2012). *Le petit Robert Micro*. ENRICHIE POUR.
- V.LOUBIGNAC. (1924). *Etude sur la dialecte berbère des Zaïan et Ait Sgougou* (Vol. 1). Paris: éditions ERNEST LEROUN.
- الزباني، أ. ا. (1991). *الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا* ( (1. éd.) ع. الفلاحي (Éd.), الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع.
- المرجان، م. (2002). *التحولات الاجتماعية بمنطقة الحوز التطواني. سلسلة ندوات ومناظرات رقم 102 كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط*. pp. 97-115 , المعروف ل. (1960). *المنجد في اللغة*. بيروت، لبنان.
- المنصوري، أ. (2004). *كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر* ( (1. éd.) أ. ب. الحسن (Éd.), الرباط، المغرب: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين أعضاء جيش التحرير.
- الناصرى، أ. ب. (1997). *الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى* (Vol. الجزء التاسع). (ج. ا. الناصري (Éd.), الدار البيضاء: دار الكتاب.
- جدي، م. (2021). *الحقل الديني والتحولات السوسيوثقافية بالبادية المغربية في منطقة الريف: التدين الشعبي نموذجاً. البادية المغربية: الذاكرة والتحولات* (pp. 303-349) الرباط: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- حبيبي، ع. (2005). *أراضي الجموع من المشترك القبلي إلى الهيمنة الادارية للدولة، نموذج قبائل زيان خنيفرة. سلسلة الندوات والمناظرات رقم 7 القانون والمجتمع، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية*. 202. p , رير أسبينيون. (2007). *أعراف قبائل زيان* (الإصدار 1). (محمد أوراغ، المترجمون) الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

رواح, ح. (2020). *الاعلام والمعالم الدينية ببلاد زيان، ودور زاوية سيدي علي أمهاوش في مقاومة الاحتلال الفرنسي*. (éd. (1)القنيطرة: منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير).

كردمين, و. (s.d.). *الشباب والتنمية، المفاهيم والاشكالات*. *مجلة جيل للدراسات السياسية والعلاقات الدولية*. (11), p. 125.

كنون, س. (2014). *الجبل الأمازيغي آيت أومالو وبلاد زيان: المجال والانسان والتاريخ*. ا. ب. محمد. (Trad., الرباط: منشورات الزمن).